

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١١، العدد ٤، شتاء ١٤٣٧ هـ
صفحة ٦٩٥ - ٧١٧

دراسة مصطلح «المطهرون» في آية ٧٩ الشريفة في سورة الواقعة (دراسة لغوية دلالية)

فتح الله نجار زادگان^١، علي انديده^{٢*}

١. أستاذ، بجامعة طهران، فرديس فارابي

٢. طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، فرديس فارابي

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٥/١٢/٢٨؛ تاريخ القبول: ٢٠١٦/٢/٢)

الملخص

المعنى اللغوي للمطهرون واضح وبيّن بمعنى الطاهر واما كصطلح ومصداق فهناك آراء متعددة في هذا المجال. ونظراً لأهمية هذا البحث ودوره في فهم هذه الفكرة المهمة ندرس في هذا المقال ضمن المنهج الوصفي- التحليلي تعددية المصدايق لهذا المصطلح دراسة نقدية ثم نتعرض للجمع بين الآراء. للمفسرين وجهات نظر وآراء مختلفة بالنسبة إلى هذه المسئلة ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: في القسم الأول من المقال نتطرق إلى نقد جماعة من المفسرين الذين يعتقدون أنّ «المطهرون» خاص بالملائكة. تستدل هذه الجماعة على آيات من سورة الواقعة وأقوال السلف وفي كلّ ذلك نقاش قائم. وفي القسم الثاني من البحث تمّ الخوض في المصدايق المذكورة من قبل المفسرين الذين يعتقدون أنّ الملائكة وذوو الطهارة الشرعية وأظهرنا من خلال البحث أنّ هذه النظرية ناقصة. وأما القسم الثالث والأخير فيظهر لنا من خلاله أنّ التعددية في مراتب المطهرون ناتج عن المصدايق المتنوعة، لأنّ الطهارة أخذت مفهوماً مطلقاً وبناء علي هذا فيمكن القول أنّ المصداق الأتمّ لـ«المطهرون» في هذه الآية هم الأنبياء والأئمة المعصومين وذلك على ضوء ما ورد في آية التطهير والشواهد القرآنية والروائية الأخرى.

الكلمات الرئيسية

المطهرون، المصداق، الطهر، الملائكة، الأئمة (عليهم السلام).

مقدمة

قد جاءت مشتقات مادة (ط، ه، ر) في ٢٥ آية من القرآن الكريم تبين كل منها مصداقاً ومرتبته أو مراتب من الطهر وأقسامه. من هذه المشتقات كلمة «مطهرون» في آية ٧٩ لسورة الواقعة. الله سبحانه وتعالى في هذه السورة بعد قسمه بمكانة النجوم قَسَمًا عظيمًا يقول: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ (الواقعة/٧٧-٧٨) ويتلوه في قسم آخر من السورة ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة/٧٩) ولعل المراد من المسّ في هذه الآية هو المسّ الظاهري أو العلم والوعي. هناك آراء مختلفة في معني المسّ (بناء على التركيب النحوي) ومرجع الضمير المفعولي في "لا يمسّه" وهي ذات تأثير مباشر في معرفة مصداق "مطهرون"، كما نُقلت أقوالاً مختلفة في معرفة مصداق هذه الآية.

يتقدّم هذا البحث خطوة إلى الأمام إذ يحاول التأصيل لمصداق الـ"مطهرون" استناداً إلى الدلائل المتقنة إضافة إلى تحليل الرؤي ونقدها. فيهدف هذا البحث إلى إعادة النظر في الآراء وقراءتها وتقييمها، وصولاً إلى مصداق كلمة الـ"مطهرون".

الغاية القصوى لخلق البشر هي التشريع ثم التطهير الإلهي. يحظي الطهر في القرآن الكريم بأهمية بالغة كما قد ذكر في آيات متعددة. التطهير لغةً هو تخليّ الجسم والروح من أي دنس ونجس، ثم تحليهما بالأوصاف الكمالية؛ وينقسم التطهير من حيث الأسلوب إلى قسمين: ١- الذاتي أو التكويني ٢- الإكتسابي أو التشريعي. قد استعمل لفظ التطهير في القرآن الكريم بشكله اللغوي والدلالي وله في كل آية معنى خاص. فيدل لفظ التطهير في بعض الآيات على الطهر من الدنس المادي الجسمي وفي الآخر على الطهر من الدنس المعنوي أو الروحي، ويطلق في بعضها على التهذيب الجسمي والروحي معاً وفي الأخرى على مطلق الطهر. وتختلف أيضاً مصاديق هو من ينطوي تحته من أفراد وأشخاص في كل من هذه الآيات؛ منها آية ٧٩ لسورة الواقعة. وقد حرّم فئة من المفسرين والفقهاء مسّ المصحف الشريف دون طهر استناداً إلى هذه الآية الشريفة. واقتصرت فئة أخرى على الملائكة مصداقاً للمطهرين أو الملائكة والإنسان الطاهر من الدنس الذي طهره الله عزّ وجلّ روحه من الدنس والذنب. مما أدّى هذا إلى اختلاف الرؤي حول معنى المطهرين ومصاديقه.

أسئلة البحث:

مما يوجب القيام بدراسة هذا العنوان، التعرف على مصطلح "المطهرون" وتحديد معنى التطهير ومصاديقه لإزالة الخلاف في الرؤية والمنهج في هذه الآية الشريفة. كما يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

ما هي رؤى مفسري الفريقين في مصطلح المطهرين في آية ٧٩ لسورة الواقعة؟ ما معنى التطهير في هذه الآية؟ من هم مصاديق المطهرون؟

فرضيات البحث:

آراء مفسري الفريقين حول مصداق أو مصاديق المطهرون في هذه الآية تكون مختلفة، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث:

أولاً: من يجعل المصطلح محصوراً في الملائكة.

ثانياً: من يذهب إلى أن المطهرين هم الملائكة وذوي الطهر الشرعي.

وثالثاً: من يذكر لها مصاديق عديدة.

أهداف البحث:

أهم أهداف هذا البحث هو:

التعرف على مصطلح "المطهرون" في آية ٧٩ لسورة الواقعة الشريفة وتحديد مصاديقه.

تبيين رؤى مفسري الفريقين في هذا المضمار.

دراسة هذه الرؤى، تقييمها، إثباتها أو نقدها.

تبيين مشتركات الفريقين ومفترقاتهم.

خلفية البحث:

الجدير بالذكر أنه لا يوجد بحث مماثل في هذه الآية، إلا أن المفسرين اقتصرنا على وضع هوامش على الآية، وعلى إعادة القراءة لما ابداه الآخرون من الآراء، وعلى دراستها وما كتبه الباحثون حتى الآن في هذا المضمار قد ورد في إطار مواضيع أخرى ودراسات لسائريات القرآن منها: السحاب المطير في تفسير آية التطهير، تأليف قاضي نورالله الشوشتری، تطهير التطهير تأليف فاضل هندي، بحث جديد لآية التطهير لـ"عبدالرحمن باقرزاده"، وتعدد المعاني في القرآن الكريم لـ"الدكتور سيد محمود طيب". وايضاً هناك مقال درس

الموضوع من منظور فقهي: الاتساع الدلالي لآية ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وتحريم مسّ القرآن دون طهارة شرعية. نرى في هذه الدراسات أنه لم يتمّ التطرق إلى دراسة تفصيلية في هذا المجال وقد عبّر الباحثين حول هذا المفهوم باختصار وهذا ما جعلنا نخوض في البحث. فنظراً إلى هذه الخلفية يتميز هذا البحث عن سواه بتقديم مصداق لهذه المفردة بعد تحليل الرؤي المختلفة أي دراسة هذه الآية حسب رؤى مفسري الفريقين، وتحديد مصداقها وتقييمها ونقدها. كلها أبعاد جديدة يناقشها هذا المقال.

مصاديق المطهرون

إذا أردنا أن نتلقى تلقياً صحيحاً لمصطلح المطهرين فعلياً أن ننتبه للبناء والتركيب، ولسياق الآيات الواردة في الموضوع، ولسياق هذه الآيات في السورة، ولسياق هذه الآيات في القرآن أي الآيات الأخرى التي تفسّر هذه الآية، ولتبيين أهداف السورة الرئيسة، نظراً إلى مفهوم الطهر، مع التأكيد على نظرية التجلي.

نجد، بنظرة عابرة إلى تفاسير الفريقين، أن آراءهم حول مصداق أو مصاديق المطهرون في هذه الآية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول من يقتصر على الملائكة وحدها مصداقاً للمطهرين؛ القسم الثاني من يعتبر الملائكة وذوي الطهر الشرعي مصداقاً لها والقسم الثالث من يذكر لها مصاديق شتى:

المطهرون: الملائكة

قد ورد في أول تفسير اجتهادي لعصر التابعين أي مقاتل بن سليمان التابعي أنه: «لا يمسّ ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة السفرة في سماء الدنيا» (مقاتل بن سليمان، ١٤٢٣: ٢٤٤).

يقول فخر الرازي أنه إذا كان المراد من الكتاب في الآية السابقة، اللوح المحفوظ، فيعود الضمير في "لا يمسّه" إلى الكتاب والقول الأصح هو أن المطهرين هم الملائكة. يكتب الرازي أن: قول الشافعي الذي يقول لا يجوز مسّ المصحف للمحدث، ما لا تنصّ الآية عليه بل مستنبط منها أو من السنّة. لأنه كتب الرسول ﷺ إلى عمرو بن حزم: "لا يمسّ القرآن من هو على غير طهر" ويتابع الرازي: «هم الملائكة طهّهم الله في أول أمرهم وأبقاهم كذلك طول عمرهم» (رازي، ١٤٢٠: ٤٣٢).

نسبه ابن كثير أيضاً إلى ابن عباس وعدد كبير من التابعين، منهم: أنس، مجاهد، عكرمه، سعيد بن جبير، ضحّاك، جابر بن زيد، أبونهيك، سدي، عبدالرحمن بن زيد بن أسلم (ابن كثير، ١٤٠٨: ٢٢). كما نسبه صاحب التحرير والتنوير إلى جمهور المفسرين (ابن عاشور، دون تا: ٩٢).

يقتصر الثعالبي على الملائكة مصداقاً للمطهرين ويكتب:

«ليس في الآية على هذا التاويل تعرّض لحكم مسّ المصحف من قبل سائر الناس» (ثعالبي، ١٤١٨: ٣٧١).

يعتقد السيد قطب بأن لأحوال النزول في معرفة مصداق الآية دوراً كبيراً ويستنتج أن الملائكة هم مصداق المطهرين الوحيد، ويكتب:

«فقد زعم المشركون أن الشياطين تنزلت به، فهذا النفي لهذا الزعم، فالشيطان لا يمس هذا الكتاب المكنون في علم الله وحفظه، إنما تنزل به الملائكة المطهرين... وهذا الوجه هو أظهر الوجوه في معنى لا يمسه الا المطهرون» (سيد بن قطب، ١٤١٢: ٣٤٧١).

ويرى سيد قطب أن "لا" ليست ناهية؛ لأنّ هي لمس القرآن الطاهر والنجس والمومن والكافر في الارض ويؤيده ما يليه من قول الله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وليس تنزيلاً من الشياطين (انظر: سيد بن قطب، ١٤١٢: ٣٤٧١).

يقتصر فيضي الدكني في سواطع الإلهام في تفسير القرآن (انظر: فيضي دكني، ١٤١٧: ٣٥١)، الثعلبي في الكشف والبيان عن تفسير القرآن (انظر: ثعلبي، ١٤١٨: ٢١٩) وأبوحيان الأندلسي في البحر المحيط في التفسير (انظر: الأندلسي، ١٤٢٠: ٩٢) على الملائكة.

تقييم الرؤية الأولى:

استند المفسرون، في قصرهم الآية الشريفة على الملائكة، إلى دليلين:

شأن النزول: فالآية جاءت رداً على مشركي مكة الذين كانوا يزعمون أن الشياطين هم الذين ينزلون القرآن وكانوا يفترّون على النبيّ بأنه شاعر ومجنون. وازدادة إلى ذلك فأكثر ما يهتم به القرآن في السور المكية هو إبطال شبهات المشركين.

٢- أقوال السلف: قد نقل القول في الصحابة عن ابن عباس وفي التابعين عن سعيد بن جبير، مجاهد، ابوالعالية، عكرمة (الطبري، ١٤١٢: ١١٨) أنس، قتاده (السيوطي، ١٤٠٤: ١٦٢) وكلبي (الثعلبي، ١٤٢٢: ٢١٩).

يمكن مناقشة الدليلين لأنَّ سورة الواقعة، على العلاقة بين العنوان والنص، تتحدث عن القيامة وحوادثها وتُقسَّم الناس إلى ثلاث فئات: أصحاب اليمين، أصحاب الشمال، والسابقون، ثم تأتي بعد ذلك بدلائل لوقوع الميعاد بتعايير مختلفة وتنتهي باسم الرب العظيم بعد التذكير بحالة الاحتضار، وحلول الموت، وإثابة المقرِّبين واصحاب اليمين وتعذيب المكذِّبين.

«تصرَّح هذه السورة بالقدرة الإلهية لتبطل إنكار المشركين التوحيد في الربوبية والالوهية ويوم البعث والميعاد والجزاء، وكانوا لا يطيقونها لرفضهم كتاب الله عزَّ وجلَّ وما كانوا يعتقدون بكونه حياً هياً أو سماوياً؛ لأنهم كانوا يزعمون بأنَّ النبي ﷺ والذي اختلق القرآن. يقسم الله عزَّ وجلَّ بعد التذكير بالتوحيد ويوم البعث قسماً عظيماً بأنَّ ماتنكرون وترفضون ايحائه أولاً؛ إنه قرآن كريم، ثانياً: أصله في "كتاب مكنون" وثالثاً: فإنه يحتوي على أوامر الله ونواهي هو نابع عن علمه وله جذر في الكتاب المكنون. لا يفهمه ولا يبلغ إلي كنه معرفته إلا المطهَّرون، أو ينبغي أن لا يمسه إلا المطهَّرون والطيبون...» (مهدي راد، ١٣٨٢: ٢٢٤-٢٢٥).

فنظراً إلى سياق السورة العام الذي تشرح نهاية العالم وعاقبة شتَّى الفرق البشرية ودُكر فيها أوصافاً كاملة عن القيامة واحوال الناس يومئذٍ، ونِعَم الجنة وعذاب جهنم، وأتمَّ الحجة؛ لا يمكن أن تقتصر على الملائكة مصداقاً للمطهَّرين أيضاً في هذه الآية؛ لأنَّ الموضوع في ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ توصيفا لقرآن. لو اقتصرنا على الملائكة لما وصفنا القرآن وصفا يعمُّ جميع الجوانب يبطل صحة التشبيه وشموليته، ولا يتناسق مع السياق العام لهذا القسم الذي جاء في عظمة القرآن الكريم ولا مع سياق سورة الواقعة وأجواءها العامة المعبرة عنه دي العباد.

يقول الله عزَّ وجلَّ في هذا القسم من الآية رداً على المشركين الذين ينكرون وحي القرآن أن: أصله في كتاب مكنون أو لوح محفوظ ولا بدُّ من الطهر للإحاطة بحقيقته وباطنه أو لمسه، ولا يجوز لمسه لغير الطاهرين ومنهما لمصابون بقدر الشرك.

يصف الله عزَّ وجلَّ في هذا القسم أولاً القرآن بـ"الكريم" الذي يشمل جميع الصفات. نظراً إلى مقام المدح يكون القرآن كريماً لاحتواءه على صفات محمودة ينفع الخلق نفعاً كريماً لما يتضمنه من مبادئ ومعارف تضمن كافة ما يحتاجه المكلف لصلاح عاجلته، والفوز في آجلته. فبناءً على هذا، لا يبرر لمس هذا الكتاب بصفة الكرم، الاقتصار على الملائكة مصداقاً للمطهَّرين ولا يفصح عن تجلِّي القرآن من جانب الله عزَّ وجلَّ لهداية البشر وسعادتها لأبدية.

قد يختلف ما قالها السلف في هذا المضمار. إن ما يذكره السلف في مجال معرفة مصاديق الآية هو إستنباطهم، ولايستندون إلى حديث مأثور عن النبي ﷺ. فبناءً على هذا لا تثبت أقوالهم أيضاً الإقتصار على الملائكة في هذه الآية. سنأتي في مناقشة الرأي الثاني بأدلة أخرى تدل على عدم صحة الإقتصار على الملائكة مصداقاً للمطهرين.

المطهرون: الملائكة وذوي الطهر الشرعي:

ترى الفئة الثانية أن المطهرين هم الملائكة وذوي الطهر الشرعي. منهم السمرقندي يكتب في بحر العلوم:

«لا تمسه إلا الملائكة المطهرون من الذنب ولا يقرؤه الا الطاهرون ويقال لايمس المصحف إلا الطاهر» (السمرقندي، د.ت: ٣٩٨).

يعتقد الزمخشري بصحة احتمال المعنيين دون تقييم لرأين ويقول:

«إذا كانت جملة ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ صفة للكتاب المكنون (اللوح المحفوظ) فهذا يعني أن هذا الكتاب مصون من غير الملائكة المقربين أو لايطلع عليه غيرهم وهم مطهرون من جميع الأقدار ومنها قدر الذنب وغيره... وإذا كانت الجملة صفة القرآن فهذا يعني ألا ينبغي لأحد مسه أي مس سطره سويًا للطاهرين؛ ورأى البعض أن المراد بالمس هو القراءة» (الزمخشري، ١٤٠٧: ٣٥١).

يشير الطبرسي في جوامع الجامع (الطبرسي، ١٣٧٧: ٢٣٩) وصاحب تفسير اثنا عشر (حسيني شاه عبد العظيمي، ١٣٦٣: ٤٨٠) إلى هذين المصداقين، ولكن يرجح القرطبي عودة الضمير إلى القرآن وكون المس بمعنى اللمسوي قول:

«وقيل المراد بالكتاب، المصحف الذي بأيدينا ... هو الأظهر» (القرطبي، ١٣٦٤: ٢٢٥).

ينضم الألوسي إلى هذه الفئة من المفسرين مع أنه يرى أن التركيب الدلالي لهذه الآية مماثلة لما في الآية ٣ لسورة نور ﴿الزَّانِي لَا يَنْكُحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ وقول الرسول ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه»، ويعتقد أن هذه العبارة تدل على النهي رغم استخدامها بهيئة النفي لكون الجملة النافية أبلغ من النهي الصريح في مواضع كهذه (الألوسي، ١٤١٥: ١٥٣).

يرى الشيخ البهائي أيضاً أن الآية نص في تحريم مس المصحف الشريف لإحتمال عودة

الضمير في "لا يمسه" إلى "كتاب مكنون" كما يرجح هذا الاحتمال على الثاني وهو عودة الضمير إلى القرآن (بهائي، ١٣٧٢: ١٧٠).

يشير وهبة الزهيلي من المفسرين المعاصرين لأهل السنة إلى هذين المصدقين في روح المعاني ويعتقد بأن المعنى الثاني أظهر من الأول: "وقيل المراد بالكتاب المصحف الذي بأيدينا وهو الأظهر" (الزهيلي، ١٤٢٢: ١٨٤).

ويواصل بحديث من الرسول حيث يقول: «لا يمسه القرآن إلا الطاهر» مؤكداً على هذا المعنى ويلمح إلى إسلام عمر على يد أخته كشاهد ويقول: «وقالت اخت عمر لعمر عند إسلامه لا يمسه إلا المطهرون فقام واغتسل. ثم أخذ الصحيفة التي بيدها، وفيها القرآن» (الزهيلي، ١٤٢٢: ١٨٥).

يستند أيضاً عدد من مفسري هذه الفئة كمؤلفي بحر العلوم (السمرقندي، د.ت: ٣٨). وكشف الأسرار (المبيدي، ١٣٧١: ٤٦٣) إلى روايات من الرسول منها ما كتبه صلى الله عليه وآله إلى عمر بن حزم: «لا يمسه القرآن إلا على الطهور» (السيوطي، ١٤٠٤: ١٦٢). وإلى معاذ بن جبل حين أرسله إلى اليمن وفيه: «لا يمسه القرآن إلا الطاهر» (السيوطي، ١٤٠٤: ١٦٢).

تقييم الرؤية الثانية:

ترى الفئة الثانية من المفسرين بأن المطهرين أعم من الملائكة وذوي الطهارة الشرعية نظراً لشأن نزولها، أقوال السلف، الروايات، التركيب النحوي للجملة، مرجع الضمير ومعاني المس. وإذا أسلمنا بأن آية ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ صفة لـ ﴿كِتَابٌ مَكْنُونٌ﴾ وفقاً لرؤية هذه الفئة من المفسرين، فالمطهرون هم الملائكة؛ وباعترافنا بكونها صفة للقرآن أي المصحف الذي بين يدي المسلمين فسيكون المراد حينئذٍ بالمطهرين، هم الطاهرون من الحدث والخبث. على الوجه الثاني تكون "لا" النافية في معنى "لا" الناهية ويعود الضمير إلى القرآن والمراد بالمس، لمس كتابة القرآن وسطوره، وبالطهر التزكية من الحدث والخبث.

قد يصح هذا المعنى في حد ذاته ولكن لم يوجد أي دليل على اختصاص المس بلمس ظاهر الكتاب وعلى أن الطهر هو الطهر الظاهري؛ لأنه إذا أسلمنا بأن "لا يمسه إلا المطهرون" صفة للكتاب المكنون أو اللوح المحفوظ وال"لا" نافية، فتدل الآية على أن الكتاب المكنون الحاوي على القرآن مصون ومحفوظ من غير الطاهرين. فعلى هذا، المراد بالمس ليس هو اللمس الظاهري بل العلم والمعرفة، ولا يختص هذا العلم بالملائكة لافتقار الأدلة،

كما أنّ هذا الرأي لا يتناسق مع سياق الآيات التي تتمحور حول تعظيم أمر القرآن وتذكره بصفة الكرامة وتنزيله من الرب لهداية العباد وانتفاعهم به. مهما كان من الأمر، هذا يدلّ على جماليات دلالية ظهرت في جملة قصيرة تكشف عن بلاغة القرآن وبيانه.

هذا وإنّ أهم الأسباب التي لايجيز عليها بعضا لعلماء استعمال اللفظ في أكثر من معنى

واحد هي:

أولاً: ضيق دائرة علم القائل وإرادته، إذ لم يمكن له إرادة معنيين أو أكثر بإستعمال لفظ

واحد في الوقت نفسه.

وثانياً: ضيق دائرة علم السامع وإرادته، إذ لم يقدر على استيعاب معنيين من لفظ واحد؛ ولكن القرآن الكريم مستثنى عن هذا الأمر والقائل هو الله عزّ وجلّ؛ إذ لايمنعه شيء إن قصد معاني متعددة من لفظ واحد. وبما أن المخاطب الاوّل للقرآن الكريم والرئيس هو الرسول ﷺ ونظراً لكماله، فلا يوجد أيضاً أي قيد لفهمه عدة معاني من لفظ واحد.

فبناءً على هذا إذا كان استعمال أكثر من معنى مستحيلاً في كلام البشر فلا يوجد أي دليل على امتناعه وعدم جوازه في كلام الله عزّ وجلّ والقرآن الكريم (انظر: جوادي آملي، ١٣٧٨:

١٢٨-١٣١). وإذا واجهنا رواية من الروايات التفسيرية المروية من الأئمة المعصومين عليهم السلام

قدّموا لنا في لفظ وعبارة من القرآن معناً وتفسيراً مختلفاً أو أوسع من معناها اللغوي أو النحوي، فهذا لا يعني رفضهم دلالاته المفهومة لدى معاصري الرسول ﷺ، بل قد تكون

هذه الدلالة الجديدة امتداد للدلالة الاولي للآية (طيب حسيني، ١٣٨٩: ١٩٢).

فبالرغم من أن "المطهرون" اسم مفعول لكن لا يوجد أي مانع ان نتخذ له معانٍ مختلفة

امتدادية ونعدّه مشتركاً معنوياً، أو مفهومًا عاماً بين عدة مصاديق، أو لفظاً قابلاً للتطبيق على أفراد ومصاديق عديدة.

المطهرون: مصاديق عديدة أخرى

وسّع بعض المفسرين معنى المطهرين وذكروا لها مصاديق أخرى إضافة على المصاديق

المذكورة كحملة التورات والإنجيل، الانبياء، والطاهرين من الذنوب والخطايا (الطبري، ١٤١٢:

١١٨-١١٩). ورأى البعض أنه يحتمل صحة كلّ هذه الأقوال؛ منهم ابوجعفر محمد بن جرير

الطبري ويقول:

«والصواب من القول من ذلك عندنا، ان الله جل ثناؤه، أخبر أن لا يمسه الكتاب المكنون
ألاً مطهرون فعمّ بخبره المطهرين، ولم يخص بعضاً دون بعض فالملائكة من المطهرين
ذوالرسل والانبيا، من المطهرين وكل من كان مطهراً من الذنوب فهو ممن استثنى وعني
بقوله: الا المطهرون» (الطبري، ١٤١٢: ١١٩).

وذهب بعض المفسرين إلى أن المصداق الآخر للمطهرين هم أهل بيت ﷺ ولو لم يذكر
أي قول يدل على الافتصار عليهم.

أول من أشار إلى الأئمة الأطهار ﷺ مصداقاً للمطهرين هو فيض الكاشاني في تفسير الصافي.
فيرى الكاشاني أن مصداق المطهرين هم الطاهرون من المقت والبغضاء، المطهرون من
الاحداث، ومن ثم وفقاً للرواية الواردة عن الامام علي ﷺ في الاحتجاج قائلاً: «فإن القرآن
الذي عندي لا يمسه الا المطهرون والاوصياء من ولدي»؛ فيعرف الكاشاني الأئمة ﷺ
مصداقاً آخر للمفردة ويكتب:

«أقول وفي التحقيق لا منافاة بين المعنيين لجواز الجمع بينهما وإرادة كل منهما أو يكون
أحدهما تفسيراً والآخر تأويلاً» (فيض الكاشاني، ١٤١٥: ١٢٩).

يذكر البيضاوي أيضاً ثلاثة مصاديق للمطهرين: الملائكة، المطهرون من الأحداث
والمطهرون من الكفر، وفي كل منها، يجعل المس بالترتيب بمعنى: العلم، المس، والطلب (راجع:
البيضاوي، ١٤١٨: ١٨٢).

كما يذكر الملا فتح الله كاشاني في زبدة التفاسير هذه المصاديق الثلاث أيضاً ويكتب
حول الطهر من الأحداث لمس القرآن:

«هذا مروى عن أبي جعفر ﷺ وعطا وطاووس وسالم وهو مذهب مالك وشافعي
أيضاً...» (الكاشاني، ١٤٢٣: ٥٨٤).

قد يشير القمي المشهدي أيضاً لهذه المصاديق الثلاث ويعرف الإمام علي ﷺ والأئمة
بعده مصداقاً آخر للمفردة نظراً إلى الرواية المنقولة عن الامام علي ﷺ.

يرى الكاتب لتفسير من وحي القرآن أن المصداق الأول للمطهرين هم الملائكة لأن الآية
هي رد على المشركين القائلين بأن: الشياطين هم الذين ينزلون القرآن فتجيب الآية بأن
الشياطين لم يقدرُوا على مسه وإن الملائكة هم الذين ينزلون به.

ومن ثم يرى السيوطي في الدر المنثور اعتماداً على حديث النبي ﷺ: «لاتمسّ القرآن إلا على طهور» أن المصداق الآخر لهذه الرواية هم المعصومين من الخطأ ويكتب: «وهناك قول بأن المراد بالمسّ، المسّ التفسيري، فلا يجوز لأحد تفسيره إلا المطهرون الذين يملكون العصمة عن الخطأ» (فضل الله، ١٤١٩: ٣٤٥).

يرى صاحب تفسير الفرقان في تفسير القرآن أن يعود الضمير في لا يمسه في كل مرآته إلى القرآن ويقول أن المراد بالمطهرين في هذه الآية هم:

الف) الملائكة المقربون وفقاً لآيات: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَرُؤُونَ﴾ (الشعراء/٢١٠-٢١٢)

ب) أئمة أهل البيت ﷺ وفقاً لآية التطهير (الأحزاب/١٣٣)

ج) كل من استنار قلبه وطاب ضميره أي يرتبط كل شخص بالقرآن على قدر منزلته.

د) المطهرون من الكفر والأحداث والأقذار (صادقي الطهراني، ١٣٦٥: ١٠٥)

كما يذكر آية الله الشيرازي أيضاً ثلاثة مصاديق للمطهرين: الطاهرون بالوضوء والغسل، الملائكة، والمنتقون استناداً إلى آية ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة/٢) ويكتب:

«الحد الأدنى للطهر اللازم لفهم مفاهيم القرآن هو امتلاك روح ملتزمة للحق، وكلما ازداد الطهر والقدسية ازداد استيعاب الإنسان لمفاهيم القرآن وفحواه، ولا تنافر بين هذه التفسيرات الثلاث، ويمكن الجمع بينها» (مكارم شيرازي، ١٣٧٤: ٢٦٨).

ويمكن الاستنتاج من عبارته أن أعلى مستوى للطهر المعني ويؤدي إلى أعلى مستوى من الاتصال بالقرآن الكريم.

وأخيراً يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان:

«فالمطهرون هم الذين أكرمهم الله تعالى بتطهير نفوسهم كالملائكة الكرام والذين طهرهم الله منّا لبشر قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب/٣٣)» (الطباطبائي، ١٤١٧: ٦٣٧).

فيرى العلامة نظراً إلى كون السياق في تعظيم القرآن وتجليله، إن المراد بمسحه ليس هو مسح سطوره، بل العلم بمعارف هوالذي لايناله إلا الطاهرين. وهذه المعاني للتطهير أكثر تناسقاً مع المسّ بمعنى العلم، من الطهر بمعنى التنزيه من الحدث والخبث؛ ويعتقد العلامة أنه ليس لدى المفسرين أي دليل على اختصاص هذه الآية بالملائكة فقط.

يقول آية الله الجوادى الآملى في تفسير التسنيم أن الله عزّ وجلّ لإيضاح مصداق الـ"مطهرون" والسبيل إلى التطهير يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وأهل البيت هم تالي تلو القرآن ولن يفترقا منه، لكن هذا لا يعني أن يكون القرآن في انحصارهم بل إنهم نالوا أعلى معارفه لأنهم مصداق المطهرين الأتم والأكمل؛ وينال سائر الناس معارفه على قدر طهرهم. وليس التطهير مستحيلاً عقلياً، وإلاّ امتنع فهم القرآن لغير الذوات المقدسة والاحتجاج بإمامة الأئمة عليهم السلام ومرجعيتهم الدينية بالكتاب السماوي ولكن تكون بعض أقسام الطهر بمستوى العدالة التي قد وجب اكتسابها، وأعلى درجاتها أرجح (جوادى آملى، ١٣٨٩: ١٣١).

ونُخلص مما ذُكر بأنه قد يرى الباحثون في مجال القرآن أن مصاديق المطهرين تشتمل على: الملائكة الكرام، الأوصياء من البشر، الطاهرين من الحدث والخبث أو ذوي الوضوء والغسل للمس كتابة القرآن، والطاهرين بدرجاتهم المختلفة للعلم بمعارفه.

تقييم الرؤية الثالثة

إلى جانب الدلائل التي ذُكرت في تقييم الروية الأولى والثانية للمفسرين ونظراً لسياق السورة وسياق آيات القسم، الأقوال والروايات، التركيب النحوي للجملة، مرجع الضمير، ومعنى المس، يمكن ان نثبت كل المصاديق للمطهرين بأدلة اخرى، منها:

إذا فسرنا الكتاب المكنون باللوح المحفوظ فهذا يعني أن القرآن قد نزل من جانب الله عزّ وجلّ بالتجليّ وإنه قديكون على تلازم وترابط وثيق ومستمر بمصدره وأصله. ويصرّح به الله عزّ وجلّ في الآية التالية قائلاً: " تنزيل من ربّ العالمين" أي قد نزل هذا القرآن بلغة عربية كي يفهمه الناس. فإذاً حقيقة القرآن هي الكتاب المكنون والكتاب المكنون هو القرآن الذي وصل لنا بالتجليّ وتثبت صلة هذه الآية بالآيات السابقة والتالية، كل مصاديق المطهرين في كل مراتبها. وهي: الملائكة التي يسهل لها المنال إلى اللوح المحفوظ. والمطهرون الذين يبيّنون القرآن، وأيضاً المراتب المتنوعة لمسّ القرآن لشتى الأفراد على قدر طهارتهم. يعبر بعض الباحثين:

«بما أن الغاية من خلق البشر هي التشريع ومن ثم البلوغ إلى التطهير الإلهي، لا يبلغ هذا الكمال إلا خواص البشر ولو دُعي كل افراد البشر إلى الحركة نحوها كالكلمات الأخرى التي يحضّ الله عزّ وجلّ عليها. فالتربية الدينية تحصل للخواصّ وتسوقهم إلى درجة

الكمال في طهارة النفس وتسوق الآخرين إلى بعض من درجاتها، التي قد تختلف حسب قابلياتهم (النفسية)» (الطباطبائي، ١٤١٧: ٨٩).

يقول الله عز وجل: يستطيع عامة الناس استيعاب القرآن ويجب أن يتدبروه ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء/٨٢) وآيات أخرى كالأية ٤ من سورة السجدة و١٠٦ لسورة الإسراء التي تعد الناس مخاطبي القرآن الكريم، وغيرها التي تصف القرآن بالهداية والذكر والنور والتبيان والبيان. لكن للقرآن مراتب مختلفة من حيث الدلالة. مراتب امتدادية ينطبق عليها لفظ الآيات بالدلالة التطابقية؛ وترتبط كل معنى بدرجة من الفهم وإلى حد ما بمستوى طهر النفس. فإذاً يمسّ ذوو الطهر في مختلف درجاته معاني القرآن في مختلف مستوياته ويستوعبون معارفه استيعاباً متنوع المراتب والدرجات.

يقول آية الله الجوادي الأملي إن أوصافاً ككتاب مبین، نور، تبيان كل شيء جاءت لوصف القرآن، لمتخص بالمعصومين ﷺ حتى تُمنع من الآخرين ولا إنها للثبوت حتى تُسلب منه في مقام الإثبات بل إنها وصف لكتاب الهدى ويتصف بها كمرشدٍ ودليلٍ للعباد وإنه أولاً الهداية مقام عام ولا يختص بالمعصوم وثانياً: إنه في مقام الإثبات وليس الثبوت. وظاهر الآية ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة/١٥) يخاطب عموم الناس دون الاختصاص بالمعصوم وأنه في مقام الهداية وليس الثبوت وأيضاً الآية رقم ١٧٤ لسورة النساء وآية ٨ لسورة التغابن و١٥٧ لسورة الأعراف إنها في مقام الارشاد وتوحي الإثبات. الجدير بالذكر أن الكتاب المكنون الذي لا يمسه الا المطهرون تختص مرحلته الكمالية بأهل البيت ﷺ كما ذكر سابقاً (جوادي أملي، ١٣٨٩: ٨٩).

بناءً على هذا فيعود ضمير لا يمسه في الآية المذكورة إلى القرآن في كل مراتبه سواءً المرتبة التي لدينا في أم الكتاب (الزخرف/٤)، أو المرتبة التي هي في لوح محفوظ (الواقعة/٧٨)، أو لدى جبرئيل (النحل/١٠٢؛ الشعراء/١٩٣) أو في قلب النبي محمد ﷺ (الشعراء/١٩٤) أو التي هي في المصحف الذي بين أيدينا (البقرة/٢).

فلا يوجد أي تنافر في ارجاع الضمير في "لا يمسه" إلى كتاب مكنون أو القرآن. لأنه من الكتاب المكنون إلى مراتب تنزله بصورة الالفاظ والتركييب بين الدفتين كلها حقيقة واحدة متجلية ولا متجافية.

فيمكن الاستنتاج أن للمطهرين مصاديق شتى استناداً إلى أي مرتبة من مراتب القرآن، والملائكة والأنبياء والأئمة المعصومين، كلها مصاديق عالية للمطهرين؛ لذا ينبغي ان نبين معنى المسّ في كل من هذه.

فعلى هذا يكون مس الملائكة بمعنى صيانة القرآن وحفظه من تزييف الشياطين؛ ومسّ أهل البيت يعني فهم معارفه والإحاطة بجميع علومه ومراتب حقائقه، وفي مرتبة أخرى بمعنى تناسق فهمه مع الطهر المعنوي، لأنه وفقاً لنظرية التجليّ إذا أسلمنا بأنّ الكتاب المكنون هو المصحف الموجود لدى المسلمين، فالآية تبرهن أن القرآن مصون من أي تغيير وباطل وتحريف وتزييف؛ والمرتبة الأخرى، لمس كتابة القرآن لذوي الوضوء والغسل والظاهرين من الحدث والخبث.

الدليل الآخر هو تفسير مفهوم للطهر مع النظر إلى صور استخدامه في القرآن. وبهذا تكون الطهر هي في الإتجاه المعاكسل لنجاسة سواءً في الطهر المادي أو المحسوس كالوضوء والغسل، او المعنوي كطهارة الحسب والنسب والعقل والأخلاق والعقيدة والقول. وإن كانت الطهارة المادية والظاهرية هي مقدمة لبلوغ لطهارة المعنوية لكنّ الإسلام يعير اهتمامه كلا القسمين (المادية والمعنوية). يقول العلامة الطباطبائي:

"أساس التوحيد الطهر، أي الطهر الأكبر عند الله عزّ وجلّ، وتليه سائر الطهارات كما تليه سائر المعارف الشاملة والجامعة التي تأتي بعدها مبادئ الأخلاق الفاضلة تؤدّي إلى طيب السريرة بالابتعاد عن الرذائل، ثم تأتي الاحكام العملية التي صدرت لاصلاح العاجلة والفوز في الآخرة (الطباطبائي، ١٤١٧: ٣١٥).

قد جاءت هذه الحقيقة في كتب الاخلاق على النحو التالي:

«أول مراتب الطهر، تطهير الجسم من الحدث والخبث والفضلات. المرتبة الثانية تطهير الجوارح والاعضاء من المعاصي والذنوب، والثالثة تطهير النفس من الأخلاق الذميمة والملكات الرذيلة، والرابعة تطهير القلب من غير الله وهذه هي طهارة الأنبياء والصدّيقين» (الترافي، ١٣٨٩: ١٨٢).

فإزالة أي دنس وجبس من الجسم والروح ومن الظاهر والباطن هو مصداق الطهر. ويبلغ الانسان إلى اعلى مراحل سلوكه إلى الله سبحانه وتعالى. «مطلقاً لتطهير هو التنزيه من جميع العيوب والذنوب المادي والمعنوي على جميع مستويات الفكر، والصفات والأعمال والتكوين. هذا هو أتمّ الكمال والرشد واقصى مراتب الاستنارة بالله» (المصطفي، ١٣٦٨: ١٣١).

قد جاء التطهير ومشتقاته في ٢٥ آية من القرآن الكريم: قد ذكر في مقام الشرط حيناً، وفي مقام التعليل وحيناً آخر كمقام ومرتبة للأبرار أو وصفاً لفئة خاصّة. وله في كل من هذه الآيات معنى خاص قد يكون في بعضها التنزيه من النجاسات الظاهرية أو المعنوية في بعضها الطهر من النجاسات المادية والمعنوية معاً، وفي أخرى بمعنى مطلقاً لطهر.

وقد تختلف مصاديق الطهر أو ما يشمله من أفراد في هذه الآيات. كما أن في آية ٢٢٢ للبقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وآية ١٠٨ للتوبة ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ يراد به المادي والجسمي معاً أي الطهر من الاقذار الناتجة عن الاقذار الظاهرية والمعنوية او الباطنية كالكفر والشرك والنفاق والنيات الفاسدة والسيئة والعقائد المنحرفة؛ وأيضا يشمل التطهير في مجال الأخلاق وهوالتطهير من الأعمال المذمومة والصفات الرذيلة والتفرّق والفساد والحاق الضرر بالمسلمين وعلى وجه عام يمكن القول بأن كل ما يكون في الجهة المعاكسة للطهر، فالتنزيه منه يكون مصداقاً له.

المثال الآخر هو آية ٣٣ لسورة الأحزاب. تبين هذه الآية أن تطهير الله عزّ وجلّ لأهل البيت ﷺ ليس تطهيرا اعتياديا بل عظيم ويتناسب أن يكون مخاطبوه طاهرين منذ الولادة إلى نهاية العمر ومن حيث المرتبة ومنزلة فهو تطهير مطلق تكويني وإرادة الله ويختصّ به ذويه، وقد يكونون في ذروة الطهارة من حيث التشريع.

نظراً إلى التركيب الصريفي في "مطهرون ومتطهرون" يتبادر هذا السؤال إلى الذهن: ماهي فلسفة باب التفعيل واسم المفعول في اللفظة الاولى وباب التفعّل واسم الفاعل؟ يبدو أنّ اللفظة الأولى تدلّ على التاكيد والدعم الإلهي واللفظة الثانية مع دلالتها على المطاوعة، تعزز فيها المحور العملي والسلوكي؛ فإذاً يمكن القول بأن المطهريين من المفاهيم المشككة، إذ اطلاقه على بعض مصاديقه أقوى وعلى الآخر أضعف. فتصحّ كل المصاديق المذكورة للمطهريين ولو كان الأنبياء والمعصومين ﷺ مصداقها الاتمّ.

إلى جانب المفسرين المذكورين في الفئة الثالثة ممن ذكروا الأنبياء والأئمة ﷺ أحد مصاديق المطهرون، اكدت فئة اخرى من التابعين والمفسرين من كلا الفريقين على هذه الرؤية: كصاحب "حقائق التفسير" قائلاً: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال ابن عطاء: لا يفهم اشارات القرآن الا من طهرّ سره عن الاكوان بما (مما) فيها (السلمي، ١٣٦٩: ١٩٧).

يرى ابن الجوزي نقلاً عن ربيع بن انس، أن الطاهرين من الذنوب والخطايا ايضاً من مصاديق المطهرون قائلًا:

«... والثالث: المطهرون من الذنوب، والخطايا، قاله الربيع بن انس...» (ابن الجوزي،

١٤٠٧: ٢٢٨).

يكتب القشيري في هامش الآية الشريفة حول أحد مصاديق المطهرون، بعد نقل الاحتمالات الواردة في مصاديقها: «... ويقال: لا يمس خبره إلا من طهر سره عن الكون...» (القشيري، د.ت: ٥٢٦).

فضلاً عن المفسرين الشيعة يرى بعض التابعين والباحثين من اهل السنة أن أحد مصاديق المطهرين في هذه الآية هم الذين تم تطهيرهم من الذنوب والخطايا والدنس الباطني. واتم مصداق لهم، الانبياء واوليائهم وأهل البيت التي تشهد آية التطهير (الأحزاب/ ٣٣) على مرتبتهم العليا في التطهير. ويمكن اثبات هذا الامر بالرجوع إلى آيات القرآن والإستعانة بها لتفسيرها «تفسيره بنفسه». يقول الإمام علي عليه السلام: «وذلك القرآن فاستنطقوه» (الكيني، ١٤٠٧: ٦١/١؛ الحويزي، ١٤١٥: ٧٥/٣). قد يكون تفسير القرآن بالقرآن جانب من استنطاق القرآن ويمكن تفسير آية ما من القرآن بأخرى. حيث يقول الإمام علي عليه السلام: «ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض» (نهج البلاغة، الخطبة ١٣٣).

يفصح إرجاع هذه الآية إلى آية التطهير، عن اختصاص التطهير الحقيقي وأعلى مراتب العلم والمعرفة القرآنية بالمعصومين وأهل البيت عليهم السلام، وهم مصداق المطهّرين الأعلى في هذه الآية. كلما ازدادت الطهارة والتقوى لدى الإنسان ازدادت استفادته من هذه المعرفة؛ وتنعكس هذه الحقيقة في آيات أخرى منها: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (العنكبوت/ ٤٩).

«الذين أوتوا العلم هم الأئمة المعصومين عليهم السلام، وفقا للروايات العديدة منها الواردة عن الباقر عليه السلام بإيمائه إلى صدره» (القمي المشهدي، ١٣٦٨: ١٥٥؛ الحويزي، ١٤١٥: ١٦٥). وقال "نحن" وأيضا روايات من الصادق عليه السلام حين سئل عن هذه الآية فقال: "هم الأئمة" أو "هم الأئمة خاصة" أو "نحن" (قمي مشهدي، ١٣٦٨: ١٥٦-١٥٧؛ الحويزي، ١٤١٥: ١٦٥-١٦٦).

أيضاً في آية ٣٢ سورة الفاطر: "... ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" يراد بالوراثة في هذه الآية العلم الجامع والبعيد عن الخطأ بالنسبة للقرآن كله والسنة، عند تبين

القرآن وتعليمه. ويشهد على ذلك ما حصل في مناظرة أقيمت بين امام الرضا عليه السلام وعلماء مسلمين في عصر المأمون، إذ سأل المأمون الحاضرين عن معنى هذه الآية، وأجاب العلماء: إن ما يقصده الله عز وجل من الذين ﴿اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هم الأمة جميعاً وحينما سأل المأمون الإمام عن رأيه قال عليه السلام: لا أعجب بقولهم، بل أقول: يريد الله بهذه الآية، العترة الطاهرة. وسأل المأمون: كيف يمكن ان يراد بها العترة دون الأمة؟ اجاب الإمام: اذا كان المراد الأمة بأجمعها فلا بد أن يدخلوا الجنة جميعاً: لأن الله عز وجل يليها قائلاً "جنات عدن يدخلونها" بينما لا تدخل الأمة كلها الجنة؛ فإذا قد تختص وراثه الكتاب بالعترة الطاهرة. ومن ثم قال الإمام عليه السلام هولاء يثني عليهم الله في كتابه ويقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب/٢٣) ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، اني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتي يردا على الحوض فانتهبوا لِمعاملتكم ايهم ولا تعلموهم شيئاً لأنهم اعلم منكم (الخطابي، ١٤٠١: ١١٤). فالعترة الطاهرة هم المطهرون والأصفياء، والعلم بالقرآن مكنون في صدورهم وهم وارثو القرآن، كل هذه العناوين تشير إلي حقيقة واحدة.

قد ورد في رواية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدر المنثور لسيوطي أن المراد بالمطهرون هم المقربون: "لا يمسه الا المطهرون قال: المقربون." (السيوطي، ١٤٠٤، ج٦، ص١٦٢) ويبين الرسول معنى المقربين ومصاديقه في حديث آخر ويقول: «فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ وَأُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَنْبِيَاءِ وَأَوْصِيَائِهِمْ، فَأَنَا أَفْضَلُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَصِيٌّ أَفْضَلُ الْأَوْصِيَاءِ﴾ (ابن بابويه، ١٣٩٥: ٢٧٦).

فعلى هذا وبما أن المطهريين هم المقربون فتتطبق مصاديقها بعضاً على بعض وتشتمل على الانبياء واوليائهم. وبين الانبياء نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم أفضلهم درجة وأسبغهم في الخير والبر وأطهر الطاهرين وأقرب المقربين.

يعرف الإمام علي عليه السلام في حديث له الائمة من ولده مصداقاً للمطهريين في هذه الآية. وقد نُقلت في كتاب الاحتجاج للطبرسي إذ قال الإمام علي عليه السلام لثاني الخلفاء - في عصر خلافة أبي بكر - حينما سأله أن يمنحهم القرآن الذي جمعه بيده: «والقرآن الذي عندي لا يمسه الا المطهرون والأوصياء من ولدي. فقال عمر فهل لإظهاره وقت معلوم؟ قال علي عليه السلام

نعم! إذا قام القائم من ولدي يظهر هو يحمل الناس على هو تجري السنة به» (الطبرسي، ١٤٠٣: ١٥٦؛ الحويزي، ١٤١٥: ٢٢٥).

وفي موضع آخر يشير أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى هذا الموضوع ويقول: «إن الله - تبارك وتعالى - طهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقتنا» (الكليني، ١٤٠٧: ١٩١).

يثبت حديث الثقلين هذه الحقيقة أيضا: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي وأهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» (الكليني، ١٤٠٧: ٢٩٤؛ طبراني، ١٤٠٦: ٦٥-٦٦).

ولن يمكن عدم الافتراق بين كتاب الله وأهل البيت عليهم السلام إلا في ظل علمهم الكامل بمعارفه؛ إذ جهلوا ببعضه يفرقهم منه ذلك البعض بينما نفيًا لنبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الافتراق كلياً، ولن يورد أي خبر أو رواية في أنهم كانوا يجهل ونعني آية حينما سئلوا عنها أو يعجزون في الاحتجاج بالقرآن مع الآخرين أو يتمكن أحد أن يبطل دلائلهم وبراهينهم؛ فالأئمة عليهم السلام وعترته الرسول الطاهرة هم في أعلى درجة لمصداق المطهرين الذين لم يفترقوا منه إلى يوم القيامة. يقول الإمام علي عليه السلام: «... ان الله يقول: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ يعني لا يناله كله إلا المطهرون، إيانا نحن عنى الذين اذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا...» (سليم، ١٤٠٥: ٨٤٧).

ولو كانت هذه الرواية من كتاب سليم لكن القرائن والشواهد الأخرى كالرواية التالية تؤيدها:

قال ابن عباس: سمعت عن الرسول يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون» (المجلسي، ١٤٠٣: ٢٧٥) بناءً على هذا فالطهر والعصمة من خصائص ذوي العلم بالقرآن بأعلى مراتبه، وهم قد نالوا درجات منا لمعرفة بالقرآن لم ينلها غيرهم فهذه معرفة خصهم الله بها والمطهرون المعصومون أتم مصداق للآية واكملها.

النتائج

قد جاء التطهير في الآيات القرآنية بمعنى التترية من النجاسات الظاهرية، والقذارات المعنوية، وفي بعض الآيات الأخرى بمفهوم الطهارة من القذارات المادية والمعنوية ونرى في آيات أخرى أنّ الطهارة قد أخذت مفهوماً مطلقاً. أقوال المفسرين وآراء الفريقين في خصوص المصطلح أو المصداق لـ«المطهرون» ينقسم بصورة عامة إلى ثلاثة أقسام: يظهر لنا من خلال الأقوال والرويات، البناء النحوي للجملة، مرجع الضمير، معنى المس، والنظر إلى مفهوم الطهارة والبناء الصريح أن المطهرون في الآية المذكورة مشكك إذ اطلاقه على بعض مصاديقه أقوى وعلى الآخر أضعف. والمراتب المختلفة للمطهرين يمكن أن يكون القصد منه ذووي الطهارة الشرعية، الملائكة، الأنبياء وأئمة أهل البيت عليهم السلام وبذلك تصحّ جميع المصاديق المذكورة للمطهرين ولو كان الأنبياء والمعصومين عليهم السلام مصداقها الأتم. يتبين لنا هذا الأمر من خلال مراجعتنا للآيات القرآنية وعلى وجه الخصوص في أحالة هذه الآية إلى آية التطهير. وكذلك الروايات المنقولة عن أهل السنة والشيعة مثلما نرى هذا المفهوم في حديث الثقلين وعدم إمكان التفريق ما بين القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

نهج البلاغة

١. رازي، أبو الفتح (١٤٠٨ق). *روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن*. تحقيق محمد جعفر ياحقي؛ محمد مهدي ناصح، ج١٨، مشهد: بنياد پژوهشهاي اسلامي آستان قدس رضوي.
٢. ابن بابويه، محمد بن علي (١٣٩٥ق). *كمال الدين وتمام النعمة*. تصحيح وتحقيق علي أكبر غفاري، ط٢، ج١، طهران: إسلامية.
٣. ابن كثير الدمشقي، إسماعيل بن عمرو (١٤١٩ق). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق محمد حسين شمس الدين، ج٨، بيروت: دار الكتب العلمية؛ منشورات علي بيضون.
٤. ابن جوزي، أبو الفرج عبدالرحمن (١٤٢٢ق). *زاد المسير في علم التفسير*. تحقيق عبدالرزاق مهدي، ج٤، بيروت: دار الفكر.
٥. ابن عاشور، محمد بن طه (دون تا). *التحرير والتنوير*. ج٢٧.
٦. الأندلسي، أبوحيان محمد (١٤٢٠ق). *البحر المحيط في التفسير*. تحقيق صدقي محمد جميل، ج١٠، بيروت: دار الفكر.
٧. الألوسي، سيد محمود (١٤١٥ق). *روح المعاني في التفسير القرآن العظيم*. تحقيق: علي عبدالباري عطيه، ج١٤، بيروت: دار الكتب العلمية.
٨. البلخي، مقاتل بن سليمان (١٤٢٣ق). *تفسير مقاتل بن سليمان*. تحقيق عبدالله محمود شحاته، ج٤، بيروت: دار إحياء التراث.
٩. البيضاوي، عبدالله بن عمر (١٤١٨ق). *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي، ج٥، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٠. الثعالبي، عبدالرحمن بن محمد (١٤١٨ق). *جواهر الحسان في تفسير القرآن*. تحقيق محمد علي معوض؛ عادل أحمد عبدالوجود، ج٥، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١١. الثعلبي النيشابوري، أبو إسحاق أحمد (١٤٢٢ق). *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*. ج٩، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٢. الجرجاني، أبوالمحسن حسين (١٣٧٧هـ). *جلاء الأذهان جلاء الأحران*. ج٩، طهران: انتشارات دانشگاه تهران.

١٣. جوادى أملى (١٣٧٨هـ). *تسنيم*. قم: مركز نشر اسراء.
١٤. حسيني شاه عبدالعظيمي، حسين (١٣٦٣هـ). *تفسير اثنا عشرى*. ج١٢، طهران: انتشارات ميقات.
١٥. الزحيلي، وهبة بن مصطفى (١٤٢٢ق). *تفسير الوسيط (زحيلي)*. ج٣، دمشق: دار الفكر.
١٦. الزمخشري، محمد بن عمر (١٤٠٧ق). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*. ط٣، ج٤، بيروت: دار الكتاب العربي.
١٧. السلمي، محمد بن حسين (١٣٦٩هـ). *حقائق التفسير*. تحقيق: نصرالله بوجوادى، ج١، طهران: مركز نشر دانشگاهي.
١٨. السمرقندي، نصر بن محمد (دون تا). *بحر العلوم*. ج٣.
١٩. السيوطي، جلال الدين (١٤٠٤ق). *الدر المنثور في تفسير المأثور*. ج٦، قم: كتابخانه آيت الله مرعشي نجفي.
٢٠. سيد بن قطب (١٤١٢ق). *في ظلال القرآن*. ج٦، بيروت: القاهرة: دار الشروق.
٢١. شبر، عبد الله (١٤١٢ق). *تفسير القرآن الكريم (شبر)*. بيروت: دار الطباعة والنشر.
٢٢. شيخ بهايي (١٣٧٢هـ). *مشرق الشمسين واكسير السعادتين*. تعليق محمد إسماعيل خواجويي اصفهاني، تحقيق سيد مهدي رجالي، مشهد: بنياد پژوهش هاي آستان قدس رضوي.
٢٣. صادقي تهراني، محمد (١٣٦٥هـ). *الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن*. ط٢، ج٢٨، قم: انتشارات فرهنگ اسلامي.
٢٤. الطباطبائي، محمد حسين (١٤١٧ق). *الميزان في تفسير القرآن*. ط٥، ج١٩، قم: دفتر انتشارات اسلامي جامعه مدرسين حوزه علميه قم.
٢٥. الطبراني، سليمان بن أحمد (١٤٠٦ق). *المعجم الكبير*. تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، ط٢، ج٣، بيروت: دار المعرفة.
٢٦. الطبرسي، فضل بن حسن (١٣٧٧هـ). *جوامع الجامع*. ج٤، طهران: انتشارات دانشگاه تهران؛ مديريت حوزه علميه قم.
٢٧. الطبري، محمد بن جرير (١٤١٢ق). *جامع البيان في تفسير القرآن*. ج٢٧، بيروت: دار المعرفة.
٢٨. الطوسي، محمد بن حسن (دون تا). *التيبان في تفسير القرآن*. تحقيق أحمد قصير العاملي، ج٩، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢٩. طيب حسيني، سيد محمود (١٣٨٩هـ). *چند معنایی در قرآن کریم*. قم: پژوهشگاه حوزه و دانشگاه.
٣٠. عاملي، إبراهيم (١٣٦٠هـ). *تفسير عاملي*. تحقيق علي أكبر غفاري، ج ٨، طهران: انتشارات صدوق.
٣١. عروسي الحويزي، عبدعلي بن جمعة (١٤١٥ق). *نور الثقلين*. تحقيق سيد هاشم رسولي محمّاتي، ط ٤، ج ٢٩، قم: انتشارات اسماعيليان.
٣٢. العطاردي الخبوشاني، عزيزالله (دون تا). *مسند الإمام الرضا عليه السلام*. ج ٥، مشهد: مؤتمر الإمام الرضا عليه السلام الدولي.
٣٣. فخرالدين رازي، محمد بن عمر (١٤٢٠ق). *مفاتيح الغيب*. ط ٢، ج ٢١، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣٤. فضل الله، محمد حسين (١٤١٩ق). *تفسير من وحي القرآن*. ط ٢، ج ٥، بيروت: دار الملك للطباعة والنشر.
٣٥. فيض الكاشاني، ملا محسن (١٤١٥ق). *تفسير الصافي*. تحقيق حسين أعلمي، ط ٢، ج ٥، طهران: انتشارات الصدر.
٣٦. فيضي، فيض الله بن مبارك (١٤١٧ق). *سواطع الإلهام في تفسير القرآن*. تحقيق سيد مرتضى آيت الله زاده شيرازي، ج ١٨، قم: دار المنار.
٣٧. القرطبي، محمد بن أحمد (١٣٤٦هـ). *الجامع لأحكام القرآن*. ج ٣، طهران: انتشارات ناصر خسرو.
٣٨. القشيري، عبدالكريم بن هوازن (دون تا). *تفسير لطائف الإشارات*. تحقيق إبراهيم بسيوني، ط ٢، ج ١٣، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٣٩. قمي مشهدي، محمد بن محمد رضا (١٣٦٨ق). *كنز الدقائق وبحر الفرائد*. تحقيق حسين درگاهي، ج ٦، طهران: سازمان چاپ و انتشارات وزارت ارشاد اسلامي.
٤٠. كاشاني، ملا فتح الله (١٤٢٣ق). *زبدة التفاسير*. تحقيق بنياد معارف اسلامي، ج ١، قم: بنياد معارف اسلامي.
٤١. الكليني، محمد بن يعقوب (١٤٠٧ق). *الكافي*. تحقق علي أكبر غفاري؛ محمد آخوندي، ط ٤، طهران: دار الكتب الإسلامية.
٤٢. المجلسي، محمد باقر (١٤٠٣ق). *بحار الأنوار*. ج ٤٤، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤٣. محمدي ري شهري، محمد (١٣٨٢هـ). *ميزان الحكمة*. قم: دار الحديث.
٤٤. مصطفى، حسن (١٣٦٨هـ). *التحقيق في كلمات القرآن الكريم*. ج ٢٣، طهران: وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي.
٤٥. مكارم شيرازي، ناصر (١٣٧٤هـ). *تفسير نمونه*. طهران: دار الكتب الإسلامية.
٤٦. مهدي راد، محمد علي (١٣٨٢هـ). *آفاق تفسير مقالات ومقولاتي در تفسير پژوهي*. طهران: هستي نما.
٤٧. موسوي همداني، سيد محمد باقر (١٣٧٤هـ). *ترجمة تفسير الميزان*. ط ٥، ج ١٩، قم: دفتر انتشارات اسلامي جامعه مدرسين حوزه علميه قم.
٤٨. نجارزادگان، فتح الله (١٣٩٠هـ). *قرآن در قرآن*. طهران: دانشگاه تهران.
٤٩. نراقي، ملا احمد (١٣٨٩هـ). *معراج السعادة*. طهران: آدينه سبز.
٥٠. النوري، ميرزا حسين (١٤٠٨ق). *مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل*. ج ٣، [دون مکان]: مؤسسه آل البيت.
٥١. الهاللي، سليم بن قيس (١٤٠٥ق). *كتاب سليم*. قم: هادي.